بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض اللهم عنا معهم يا رب العالمين.

الحمد لله الذي ميز المؤمنين بأنوار اليقين، وآثر المخلصين بالهداية إلى دعائم الدين، وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين، ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين، وسددهم للتأسي بصحبة الأكرمين، ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين، حتى اعتصموا من الشطط بالحبل المتين، وصححوا عقائدهم بالمنهج المبين، فجمعوا بالقول بين نتائج العقول، وقضايا الشرع المنقول، وتحققوا أن العبادة ليس لها طائل ولا محصول، إن لم تتحقق الإحاطة بما قال به أهل الأصول، وبعد :

فالتوسل نوع من أنواع الدعاء، يدفع الله به أنواع البلاء، ويغدق على عباده المتوسلين بالمنح والعطاء، وبما أن هذه المسألة هي واحدة من المسائل التي اختلف فيها العلماء، فاني أحببت أن أكتب فيها لعل هذا الخلاف يصير إلى فناء، ويحل بين المسلمين الوئام والإخاء، والتوسل بالدعاء من أعظم

القربات التي تمهد للعبد طريق الارتقاء، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (الدعاء هو العبادة)[١]

ولما كان الدعاء بهذه المرتبة، أمر الله عز وجل عباده أن يدعوه في كل أحوالهم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾ [٢]، وبين لهم سبحانه أن من الوسائل التي يكون معها الدعاء أرجى للقبول ، الدعاء بأسمائه وصفاته ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾[٣] . فيشرع للداعي أن يبدأ دعائه متوسلاً بذكر أسماء الله عز وجل (اللهم) وصفاته التي تتعلق بذلك الدعاء، والتوسل بصفة المحبة من الله لرسوله ﷺ واحدة من المشروعات.

انتقل رسول الله ﷺ إلى ربه، وأمة الإسلام متحدة الكلمة، مجتمعة الرأي، راسخة البناء، وشعارها لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم ما لبث المسلمون أن اتبعوا سنن من قبلهم، وساروا على

---

1 - الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (تـ ٧٢٩هـ) ،تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، بَاب: وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنِ، رقم الحديث : ١٤٧٩ قال أبو عِيسَى: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ج٥:ص٣٧٤

2 - الأعراف: ٥٥

٣ - الأعراف: ١٨٠

درب الأمم التي مضت كما أخبر رسول الله ﷺ حيث قال : (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حتى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قال فَمَنْ؟)[١] فتفرقوا واختلفوا وأصبحوا شيعًا، كل حزب بما لديهم فرحون.

وكان هذا التفرق نتيجة عوامل كثيرة منها مسألة التوسل والتي سنبينها في هذا البحث بحول الله تعالى، كما سنبين بعون الله سبحانه مواطن الخطأ في الخلاف، لعلنا نوفق بين الآراء، ويزول الاختلاف .

وكانت خطة البحث الآتي :

المبحث الأول : التعريفات

المبحث الثاني :التوسل المتفق عليه.

المبحث الثالث :التوسل المختلف فيه.

المبحث الرابع :التوفيق بين الآراء.

---

[١] - صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (تـ ٢٥٦هـ) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة ، بَاب ما ذُكِرَ عن بَنِي إِسْرَائِيلَ، رقم الحديث : ٣٢٦٩ ، ج٣/ص١٢٧٤

الخاتمة والنتائج

المبحث الأول

التعريفات

المطلب الأول : الوسيلة لغة:

(وسل : الوَسِيلةُ المَنْزِلة عند المَلِك والوَسِيلة الدَّرَجة والوَسِيلة القُرْبة، ووَسَّل فلانٌ إلى الله ﷻ وسِيلةً إذا عَمِل عملاً تقرَّب به إليه، والواسِل الراغِبُ إلى، وتوَسَّل إليه بوَسيلةٍ إذ تقرَّب إليه بعَمَل، وتوَسَّل إليه بكذا تقرَّب إليه بحُرْمَةِ آصِرةٍ تُعْطفه عليه، والوَسِيلةُ الوُصْلة والقُرْبى وجمعها الوسائل، قال الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ ﴾[1] ما يُتَقَرَّبُ به إلى الغَيْر والجمع الوُسُلُ والوسائلُ والتَّوْسيلُ والتَّوسُّلُ واحد، وفي حديث الأَذان (اللهمَّ آتِ محمداً الوَسِيلَة)[2] هي في الأَصل ما يُتَوَصَّل به إلى الشيء

---

[1] - الإسراء: ٥٧

[2] - صحيح البخاري، بَاب : عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، رقم الحديث : ٤٤٤٢ ، ج٤/ص١٧٤٨
بَاب عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ج٤/ص١٧٤٩

ويُتَقَرَّب به، والمراد به في الحديث القُرْبُ من الله تعالى وقيل هي الشفاعةُ يوم القيامة)[١]

وجاء في مختار الصحاح : (و س ل، الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد، يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل .)[٢]

المطلب الثاني : الوسيلة اصطلاحاً :

[1] - لسان العرب ، محمد بن منظور الأفريقي المصري ، (تـ ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، ط ١ ، مادة (وسل) ، (ج ١١ / ص ٧٢٤)

[٢] - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، (تـ ٧٢١هـ)، تحقيق: محمود خاطر ، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، (ج ٢ / ص ١٩٨) مادة (و س ل)

(الوسيلة : كل ما يتوسل به أي يتقرّب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك ، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي.)[١]

والوسيلة : القُربة ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة ، أي متوسّل بها أي اتبعوا التقرّب إليه، أي بالطاعة . والوسيلة أريد بها ما يبلغ به إلى الله ﷻ، والبلوغ إلى الله ليس بلوغ مسافة ولكنّه بلوغ زلفى ورضى . فالتّعريف في الوسيلة تعريف الجنس ، أي كلّ ما تعلمون أنّه يقرّبكم إلى الله ، أي ينيلكم رضاه وقبول أعمالكم لديه . فالوسيلة ما يقرّب العبد من الله بالعمل بأوامره واجتناب ونواهيه .[٢]

الألفاظ ذات الصّلة :

المطلب الثالث - الاستعانة :

[لغة: طلب العَوْنُ على الأَمر الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيه سواء، وقد حكي في تكسيره أَعْوان، والعرب تقول إذا جاءَتْ

---

[1] - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ،دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، - (ج ٢ / ص ٢٣)

[٢] - التحرير والتنوير . الطبعة التونسية، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م – (ج ٦ / ص ٤٩٧)

السَّنة جاء معها أَعْوانها يَعْنون بالسنة الجَدْبَ وبالأَعوان الجراد والذِّئاب والأَمراض وتقول أَعَنْتُه إعانة واسْتَعَنْتُه واستَعَنْتُ به فأَعانَني][1]

والاستعانة في الاصطلاح كذلك طلب العون. والتّوسّل والاستعانة لفظان متساويان لغة واصطلاحاً .

المطلب الرابع – الاستغاثة لغة :

[استغاثَ الرَّجُلُ: صاح : واغَوْثَاهُ ، وتقول : ضُرِبَ فلانٌ فَغَوَّثَ (تَغْوِيثاً ، قال : واغَوْثَاهُ) ، وقد صَرَّح أَئمَّةُ النَّحْوِ بأَنَّ هاذا هو أَصْلُه ، ثم إنهم استعمَلُوه بمعنى صَاحَ ونَادَى طَلَباً للغَوْثِ].[2]

المطلب الخامس : الاستغاثة في الاصطلاح .

---

[1] - لسان العرب – مادة : عون (ج ١٣ / ص ٢٩٨)

[2] - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار النشر: دار الهداية، مادة غوث (ج ٥ / ص ٣١٣)

نداء من يخلص من شدة أو يعين على دفع بلية، فنقول استغاث الرجل فلاناً أي استنصره واستعان به طالباً للغوث والنّصر [١].

والاستغاثة غير التّوسّل ، لأنّ الاستغاثة لا تكون إلّا في حال الشّدّة ، والتّوسّل يكون في حال الشّدّة وحال الرّخاء .

[١] - ينظر المعجم الوسيط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار النشر: دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥ج٢/ص٦٦٥

المبحث الثاني
التوسل المتفق عليه

هنالك مسائل في التوسل اتفق العلماء على مشروعيتها، وبما أن غاية هذا البحث هو التوصل إلى القاسم المشترك بين الآراء، لذا سأختصر المقال فيها وأسهب في المسائل الخلافية لعلنا نصل إلى

نتيجة ترضي جميع الأطراف، فمما اتفق عليه العلماء نجملها فيما يأتي :

المطلب الأول – التوسل بصفات الله ﷻ

وصيغته أن يقول : اللهم إني أسألك برحمتك ومغفرتك وإحسانك وغيرها من الصفات كما كان يفعل الرسول ﷺ ففي الحديث الشريف عن بن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل به هم أو غم قال: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث .)[1]

[1] - المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، (ت ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، كتاب الدعاء و التكبير و التهليل و التسبيح و الذكر، رقم الحديث: ١٨٧٥، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ج١/ص٦٨٩

ورواه الترمذي في سننه الجامع الصحيح ، رقم الحديث: ٣٥٢٤، قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وقد رُوِيَ هذا الْحَدِيثُ عن أَنَسٍ من غَيْرِ وجه ، باب ٧٢ ما جاء في عقد التسبيح باليد ، ج٥/ص٥٣٩

وهذا النوع مما لم يختلف عليه اثنان وذلك لورود الأحاديث الصحيحة، قال ابن تيمية (رحمه الله)[١] :

وروى أنه ﷺ علّم ابنته فاطمة رضي الله عنها أن تقول (يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث)[٢]

المطلب الثاني : التوسل بالأعمال الصالحة

أجمع الفقهاء على جواز التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان متقربا بها إلى الله تعالى، واستدلوا على ذلك من الكتاب والسنة . فمن الكتاب قوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ ﴾[٣] وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الوسيلة المذكورة في هذه الآية تطلق على الأعمال الصالحة[٤] وقد

---

[1] - ينظر كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية (رحمه الله) في الفقه : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، (تـ ٧٢٨هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجديج، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، ٢٧/ص٨٨

[2] - الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، دار النشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة الطبعة: الأولى ، - ١٤١٠، رقم الحديث : ٢٣١٩ ، إسناده حسن ،ج٦/ص٣٠٠

[3] - المائدة:٣٥

[4] - ينظر تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، (تـ ٣١٠ هـ) ، دار النشر: دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥هـ ، ج٦/ص٢٢٦،

علمنا القرآن الكريم أن نسبق الدعاء بذكر الأعمال الصالحة لتكون وسيلة الطلب من الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [1]فقد قدم ذكر الأعمال الصالحة ثم تلا ذلك بالدعاء كما في قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[2] وغير ذلك من الآيات الكريمات .

وأما السنة فقد اتفق العلماء على مشروعية التوسل بالأعمال الصالحة لورود الحديث عن رسول اللَّهِ ﷺ أنه قال: (بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَمَالُوا إلى غَارٍ في الْجَبَلِ، فَانْحَطَّتْ على فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ من الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عليهم، فقال بَعْضُهُم لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً فَادْعُوا اللَّهَ بها لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا، فقال أَحَدُهُمْ اللهم إنه كان لي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كنت أَرْعَى عليهم، فإذا رُحْتُ عليهم فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ

وينظر كذلك تفسير البيضاوي، الإمام البيضاوي، (ت ٧٩١هـ) دار النشر: دار الفكر – بيروت ج٢/ص٣٢١ ،

وينظر كذلك تفسير السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين ، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ج١/ص٢٣٠

[1] ـ الفاتحة: ٥ ـ ٦

[2] ـ آل عمران: ١٦

بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قبل وَلَدِي، وَإِنَّهُ نأى بِيَ الشَّجَرُ يوما فما أَتَيْتُ حتى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قد نَامَا فَحَلَبْتُ كما كنت أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رؤوسهما أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا من نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فلم يَزَلْ ذلك دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حتى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذلك ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لنا فُرْجَةً نَرَى منها السَّمَاءَ فَفَرَجَ الله لهم فُرْجَةً حتى يَرَوْنَ منها السَّمَاءَ. وقال الثَّانِي اللهم إنه كانت لي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ ما يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حتى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ حتى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَلَقِيتُهَا بها، فلما قَعَدْتُ بين رِجْلَيْهَا قالت يا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ ولا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إلا بحقه فَقُمْتُ عنها، اللهم فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ اني قد فَعَلْتُ ذلك ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لنا منها فَفَرَجَ لهم فُرْجَةً، وقال الْآخَرُ اللهم إني كنت اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فلما قَضَى عَمَلَهُ قال أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عليه حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عنه فلم أَزَلْ أَزْرَعُهُ حتى جَمَعْتُ منه بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فقال اتَّقِ اللَّهَ ولا تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي، فقلت اذْهَبْ إلى تلك الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا، فقال اتَّقِ اللَّهَ ولا تَهْزَأْ بِي، فقلت إني لَا أَهْزَأُ بِكَ فَخُذْ تلك الْبَقَرَ وَرَاعِيَهَا، فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بها، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذلك ابْتِغَاءَ

وَجْهِكَ فَافْرُجْ ما بقى ففَرَجَ الله عَنْهُمْ)[1] فهذا النوع من التوسل لا يختلف فيه أحد من العلماء.

المطلب الثالث : التوسل بالنبي ﷺ في حياته.

التوسل بالنبي ﷺ في حياته بمعنى أن نطلب الدعاء منه في الدنيا والشفاعة في الآخرة . وقد ثبت ذلك بالتواتر ، فقد كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يسألون النبي ﷺ الدعاء في الأمور الدنيوية والأخروية . وقد أرشدهم القرآن الكريم إلى ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾[2]. وكذلك في طلب الحاجات الحياتية، فعن عُثْمَانَ بن حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أتى النبي ﷺ فقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي. قال:(إن شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لك، قال فَادْعُهْ قال فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بهذا الدُّعَاءِ اللهم إني أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إني

---

[1] - صحيح البخاري، ، كِتَاب الْأَدَبِ، رقم الحديث: ٥٦٢٩ ، ج٥/ص٢٢٢٧

[2] - النساء: ٦٤

تَوَجَّهْتُ بِكَ إلى رَبِّي في حَاجَتِي هذه لِتُقْضَى لِيَ اللهم فَشَفِّعْهُ فِيَّ.)[١]

وفي مسند الإمام أحمد (رحمه الله) (قال فَفَعَلَ الرَّجُلُ فبرأ.)[٢]

والتوسل بالنبي على هذا المعنى هو الإيمان به ومحبته، ولا خلاف بين العلماء في التوسل بالنبي ﷺ على معنى الإيمان به ومحبته ، وذلك كأن يقول: أسألك بنبيك محمد ﷺ ويريد : إني أسألك بإيماني به وبمحبته ، وأتوسل إليك بإيماني به ومحبته ، ونحو ذلك[٣] .

ولا الضير في أن نستشفع بمحبة الله لحبيبه محمد ﷺ كما نتوسل برحمة الله، إذ معناه أيضا إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا .

---

1 - سنن الترمذي، قال الترمذي : حسن صحيح غريب لَا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْهِ من حديث أبي جَعْفَرٍ وهو الْخَطْمِيُّ وَعُثْمَانُ بن حُنَيْفٍ هو أَخُو سَهْلِ بن حُنَيْفٍ الجامع الصحيح سنن الترمذي - (ج ٥ / ص ٣٥٧)، باب في انتظار الفرج وغير ذلك ، قال الشيخ الألباني : صحيح، ج٥:ص٥٦٩، رقم الحديث٣٥٧٨

٢ - مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، (ت ٢٤١هـ) ، دار النشر، دار النشر ق رطبة – مصر، ج٤:ص١٣٨ ، رقم الحديث : ١٧٢٧٩ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح ، رجاله ثقات

3 - ينظر الموسوعة الفقهية الكويتية - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ط : الثانية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، (ج ١٤ / ص ١٥٦)

المبحث الثالث

التوسل المختلف فيه

هذه جملة مسائل اختلف العلماء في مشروعيتها، واختلافهم هو اختلاف فقهي لا عقائدي (كما سنرى)، وسوف نسلط الضوء على

هذه المسائل بما يفتح الله ﷻ لنا وهو خير الفاتحين، ولعلنا نصل إلى نتيجة ترضي الجميع.

المطلب الأول – التوسل بالنبي ﷺ قبل ولادته.

ثبت التوسل بالنبي ﷺ قبل ولادته في الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [1]

قال البيضاوي (رحمه الله) [يستنصرون (يعني أهل الكتاب)على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة][2]

وقال ابن كثير(رحمه الله):[وقد كانوا (يعني أهل الكتاب)من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على

---

[1] - البقرة: ٨٩

[2] - تفسير البيضاوي ج١/ص٣٥٩ ، وينظر تفسير الطبري ج١/ص٤١١

أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم يقولون إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم.][1]

وقال ابن تيمية (رحمه الله) إن هذا لا يعني التوسل بالنبي ﷺ إنما يكون معنى الآية ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ان اليهود كانوا يقولون للمشركين سوف يبعث هذا النبي ونقاتلكم معه فنقتلكم، ولم يكونوا يقسمون على الله ﷻ بذاته ﷺ ولا يسألون به أو يقولون اللهم ابعث هذا النبي الأمي لنتبعه ونقتلكم، هذا هو النقل الثابت عند اهل التفسير، ولأن الإستفتاح يعني الاستنصار، وهو طلب الفتح والنصر فطلب الفتح والنصر به هو أن يبعث فيقاتلونهم معه، فبهذا ينصرون ليس هو بإقسامهم به وسؤالهم به إذ لو كان كذلك لكانوا إذا سألوا أو أقسموا به نصروا ولم يكن الأمر كذلك بل لما بعث الله محمدا ﷺ نصر الله من آمن به وجاهد معه على من خالفه، وما ذكره بعض المفسرين من أنهم كانوا يقسمون به أو

---

[1] - تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (تـ ٧٧٤هـ) ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت ،١٤٠١ هـ ، ج١/ص١٢٥

يسألون به فهو نقل شاذ مخالف للنقول الكثيرة المستفيضة المخالفة له[١]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء، فقالت: اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله عز وجل الآية، يعني يستفتحون بك يا محمد ﷺ فلعنة الله على الكافرين ويستفتحون أي يستنصرون [٢]

وذكر الرازي(رحمه الله) أسباب نزول هذه الآية وفيها يجمع كل الآراء ويزيل الخلاف بين العلماء وفيها تتوضح الصورة ويزول الإلتباس. وهذه الأسباب:

---

[١] - ينظر : مجموع كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (ت ٧٢٨هـ) ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجديج١، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، /ص٢٩٦

[٢] - بنظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، ج١/ص١٨

أحدها: أن اليهود من قبل مبعث محمد ﷺ ونزول القرآن كانوا يستفتحون أي يسألون الفتح والنصرة وكانوا يقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي الأمي.

وثانيها: كانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد أظل زمانه ينصرنا عليكم.

وثالثها: كانوا يسألون العرب عن مولده ﷺ ويصفونه بأنه نبي من صفته كذا وكذا ويتفحصون عنه على الذين كفروا أي على مشركي العرب .

ورابعها: نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل المبعث

وخامسها: نزلت في أحبار اليهود كانوا إذا قرؤوا وذكروا محمداً ﷺ في التوراة وأنه

مبعوث وأنه من العرب سألوا مشركي العرب عن تلك الصفات ليعلموا أنه هل ولد فيهم من يوافق حاله حال هذا المبعوث[1]

---

[1] - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (تـ ٦٠٦هـ) ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى ، - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج٣/ص١٦٤

ومن السنة فقد جاء في الأثر عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد ﷺ لما غفرت لي. فقال الله ﷻ يا آدم وكيف عرفت محمداً ﷺ ولم أخلقه؟ قال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله ﷻ صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ﷺ ما خلقتك.)[١]

وأورد ابن كثير (رحمه الله) [٢] وغيره هذه الرواية.

وقال ابن تيميه : (ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فإنه نفسه قد قال في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة.)[٣]

---

[1] - المستدرك على الصحيحين ، رقم الحديث :٤٢٢٨ ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ج٢/ص٦٧٢

[٢] - البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، (تـ ٧٧٤هـ) ، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت، ج١/ص٨١

[3] - مجموع الفتاوى ، ج١/ص٢٥٤

ومن جملة آراء العلماء نجد أن كل واحد منهم اجتهد حسب فهمه للنصوص، وهذا لا يضر لأنها مسألة فرعية، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر.

المطلب الثاني : التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته :

اختلف العلماء في مشروعية التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كقول القائل : اللهم إني أسألك بنبيك أو بجاه نبيك أو بحق نبيك ، على أقوال :

الأول : أجاز بعض العلماء التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، لأن التوسل يكون بالرتبة لا بالذات، أي برتبة النبوة التي لا تتبدل بعد الموت واستدلوا على ذلك بالأدلة الآتية :

١-كان أبو بكر الصديق ﷺ إذا بعث جنداً إلى أهل الردة خرج ليشيعهم وخرج بالعباس معه، قال يا عباس استنصر وأنا أؤمن فإني أرجو أن لا يخيب دعوتك لمكانك من نبي الله صلى الله عليه وسلم[١]

[1] - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ج٧/ص٣٢

٢- قال الإمام علي عليه السلام: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه ؛ فقال : قلت يا رسول الله سمعنا قولك، ووعيت عن الله جل جلاله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله جل جلاله عليك ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾[1]، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر أنه قد غفر لك[2].

٣- قال العتبي[3](رحمه الله) حج أعرابي إلى مسجد رسول الله ﷺ وأناخ راحلته عند الباب فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي

---

[1] - النساء الآية ٦٤

[2] - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (تـ ٦٧١هـ) ، دار النشر: دار الشعب - القاهرة - (ج ٥ / ص ٢٦٥- ٢٦٦)

[3] - العتبي أبو عبد الرحمن واسمه محمد بن عبد الله بن عمرو وكان من أفصح الناس وصاحب أخبار وصاحب رواية للآثار حدث عن أبيه وعن إبن عيينة
د فع شبه التشبيه بأكف التنزيه، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، تحقيق: حسن السقاف، دار النشر: دار الإمام النووي - الأردن ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ١/ص٧٥

يا رسول الله، جئتك مثقلاً بالذنوب والخطايا مستشفعا بك على ربك لأنه قال في محكم تنزيله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾ وقد جئتك بأبي أنت وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا استشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن تشفع فيّ، ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول :

يا خير من دفنت في الترب أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عُتْبى، الحقْ الأعرابيّ فبشره أن الله قد غفر له [1]

---

1 - تفسير ابن كثير - (ج ٢ / ص ٣٤٨) ، وينظر كذلك الدر المنثور ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، (تـ ٩١١هـ) دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣- (ج ١ / ص ٥٧٠) ،

ومما ينبغي ذكره أن هذه الأبيات مكتوبة على المواجهة النبوية الشريفة في العامود الذي بين شباك الحجرة النبوية يراها القاصي والداني منذ مئات السنين[١]

وذكر هذه الحكاية الإمام النووي (رحمه الله) وقال: إن أصحاب الشافعي (رحمه الله) استحسنوا ذلك وحكوه عن غيرهم وأفاد شمول الآية للحياة والممات وأنه يستشفع به إلى ربه وساق ذلك مساق ما هو متفق عليه ولم يتعرض لذلك أحد بالإنكار في سائر الأعصار وزدت أنا هذين البيتين لعلي يلحقني نصيب من شفاعته وهما :

وفيه كل خصال الحمد قد جمعت فلذ به فهو من ترعى له الذمم

وهو الذي يرتجى في كل معضلة وفي المعاد إذا زلت بنا القدم[٢]

وينظر كذلك شعب الإيمان ، أبو بكر البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (تـ ٤٥٨هـ)- ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ، الطبعة: الأولى ،١٤١٠ (ج ٣ / ص ٤٩٥)

وينظر كذلك المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار النشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: الأولى للمقدسي - ١٤٠٥، - (ج ٣ / ص ٥٩٩)

[١] - مفاهيم يجب أن تصحح ، السيد محمد بن علوي المالكي الحسني، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت. ص ٦٦

[٢] - الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، الإمام النووي، (تـ ٦٧٦هـ) ، دار النشر: دار الكتب العربي – بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م. – (ج ١ / ص ٢٠٤)

وأنكر ابن أبي العز (رحمه الله) هذه القصة، لكنه أقر بمعنى الأبيات الذي تحويه وقال :[فهذه حكاية باطلة، وأما البيت فمعناه صحيح.][1]

وقال ابن تيمية (رحمه الله) : قول القائل أسألك بنبيك محمد ﷺ على أنه أراد إني أسألك بإيماني به وبمحبته وأتوسل اليك بإيماني به ومحبته، من أراد هذا المعنى فهو مصيب في ذلك بلا نزاع ، وإذا حمل على هذا المعنى كلام من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته من السلف – كما نقل عن بعض الصحابة والتابعين وعن الإمام أحمد وغيره – كان هذا حسنا . وحينئذ فلا يكون في المسألة نزاع ، ولكن كثيرا من العوام يطلقون هذا اللفظ ولا يريدون هذا المعنى ، فهؤلاء الذين أنكر عليهم من أنكر. وهذا كما أن الصحابة كانوا يريدون بالتوسل به التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا جائز بلا نزاع ، ثم إن أكثر الناس في زماننا لا يريدون هذا المعنى بهذا اللفظ[2].

---

[1] - شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩١، الطبعة: الرابعة - (ج ٦٢ / ص ٢٩

[2] - مجموع الفتاوى لابن تيمية (رحمه الله) - (ج ١ / ص ٢٢١)

وقال ابن تيمية (رحمه الله) في هذه المسألة أنه لم يثبت عنده دليل الحرمة الا ما نقله عن الشيخ ابن عبد السلام[١](رحمه الله) ، فقال:

[أن يقول اللهم بجاه فلان عندك أو ببركة فلان أو بحرمة فلان عندك أفعل بي كذا وكذا فهذا يفعله كثير من الناس، لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه إلا ما رأيت في فتاوى الفقيه أبى محمد بن عبدالسلام فإنه أفتى أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك إلا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إن صح الحديث في النبي صلى الله عليه وآله وسلم][٢]

والظاهر من كلام ابن تيمية (رحمه الله) أن ليس لديه اعتراض لأنه لم يثبت لديه دليل المنع إلا ما بلغه عن الشيخ أبي العز، أما بقية العلماء فقد ثبتت عندهم أدلة الإباحة فرجحوا ما ثبت عندهم وانتهى الاشكال.

---

[١] - محمد ابن الشيخ عز الدين بن عبد السلام السلمي الدمشقي شرف الدين إمام المدرسة الظاهرية التي بالقاهرة كان أكبر إخوته توفي في شعبان حدث عن أحمد بن محمد بن سيدهم وعلي بن عبد الوهاب بن لحبقبق وغيرهما وله مجاميع وفوائد
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى دار النشر: دار الكتاب العربي - لبنان/ بيروت ،الطبعة: الأولى، - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج٥١:ص ٨٧- ٨٨

[2] - كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية (رحمه الله) في الفقه ج٢٧/ص٨٣

ولا بأس بقوله [بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم][١]

وذهب جمهور الفقهاء (المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية وهو المذهب عند الحنابلة) إلى جواز هذا النوع من التوسل سواء في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته[٢]

وما نقله القاضي عياض في الشفاء عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه أنه لما سأله جعفر المنصور عن استقبال القبر حين الدعاء أو استقبال القبلة قال له ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم قبلك بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية على أنها قد عضدت بجريان العمل وبالأحاديث الصحيحة الصريحة في جواز التوسل

---

[1] - حاشية على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي، دار النشر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر ، الطبعة: الثالثة ، - ١٣١٨هـ، ج١/ص٣٥٧

[2] ــ المجموع، تأليف: النووي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧م، ٨ / ٢٧٤
والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: عبد القادر بن بدران الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة: الثانية - ١٤٠١ ، ١ / ٢٤٨
وابن عابدين حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، تأليف: ابن عابدين. ، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٥ / ٢٥٤.
الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تأليف: الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، دار النشر: دار الفكر - ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ١ / ٢٦٦

التي يعضد بعضها بعضا وبظاهر استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما ويقف ويدعو ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده [١]

وقال الآلوسي (رحمه الله): [وبعد هذا كله أنا لا أرى بأسا في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي صلى الله عليه وسلم حيا وميتا، ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى، مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته فيكون معنى قول القائل إلهى أتوسل بجاه نبيك صلى الله عليه وسلم أن تقضى لي حاجتي إلهى اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي، ولا فرق بين هذا وقولك إلهى أتوسل برحمتك أن تفعل كذا.][٢]

٤- حديث أَنَسٍ رضي الله عنه : (أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ ﷺ كان إذا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بن عبد الْمُطَّلِبِ ﷺ فقال: اللهم إِنَّا كنا

---

[1] _ الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، تأليف: أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، تحقيق: خليل المنصور ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج٣/ص٥٩.
والمدخل ٢٤٨/١، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تأليف: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، دار النشر: دار الفكر - بيروت – ١٤١٥، ٤٦٦/٢

[٢] - روح المعاني ج٦/ص١٢٨

نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قال فَيُسْقَوْنَ.)[1]

قال العباس ﷺ ذلك اليوم : اللهم إن عندك سحابا وإن عندك ماءً فانشر السحاب ثم أنزل منه الماء ثم أنزله علينا واشدد به الأصل وأطل به الفرع وأدر به الضرع، اللهم شفعنا إليك عمن لا منطق له من بهايمنا وأنعامنا، اللهم إسقنا سقيا وادعة بالغة طبقا مجللاً، اللهم لا نرغب إلاّ إليك وحدك لا شريك لك، اللهم إنا نشكوا إليك سغب كل ساغب، وعدم كل عادم، وجوع كل جائع، وعري كل عار، وخوف كل خائف، فلما صعد عمر ﷺ ومعه العباس ﷺ المنبر قال عمر رضي الله تعالى عنه : اللهم إنا توجهنا إليك بعم نبيك ﷺ وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين.

ثم قال قل يا أبا الفضل، فقال العباس ﷺ : اللهم لم ينزل بلاء إلاّ بذنب، ولم يكشف إلاّ بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من

---

[1] - صحيح البخاري ، كتاب الِاسْتِسْقَاءِ ، بَاب الِاسْتِسْقَاءِ وَخُرُوجِ النبي صلى الله عليه وسلم في الِاسْتِسْقَاءِ ، رقم الحديث: ٩٦٤ ،ج١/ص٣٤١

نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة فاسقنا الغيث. قال فأرخت السماء شآبيب مثل الجبال حتى أخصبت الأرض[١].

استنبط المحدثون والشراح من هذا الأثر مسائل عديدة، فمنهم من أثبت صحة التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته، ومنهم من أنكر ذلك، وفيما يأتي مجمل آراء الفريقين:

المطلب الثالث : أقوال وأدلة المجيزين:

١ – قول عمر ﷺ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ إلى آخره بيانه أنهم كانوا إذا استسقوا كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وبعده استسقى عمر بالعباس ﷺ عم النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أقرب الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم رحماً فأراد عمر أن يصلها ليتصل بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك عام[٢] الرمادة. [٣]

---

[١] - عمدة القاري ج٧/ص٣٢

[٢] - عام الرمادة كان سنة ثماني عشرة للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ودام تسعة أشهر والرمادة بفتح الراء وتخفيف الميم سمي العام بها لما حصل من شدة الجدب فاغبرت الأرض من عدم المطر
ينظر : فتح الباري، ج٢/ص٤٩٧
ودام تسعة

[٣] - ينظر عمدة القاري ج٧/ص ٣٢–٣٣

٢ – حديث عُثْمَانَ بن حُنَيْفٍ: أَنَّ رَجُلا كان يَخْتَلِفُ إلى عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رضي اللَّهُ عنه في حَاجَةٍ له، فَكَانَ عُثْمَانُ لا يَلْتَفِتُ إليه وَلا يَنْظُرُ في حَاجَتِهِ، فَلَقِيَ بن حُنَيْفٍ فَشَكَى ذلك إليه، فقال له عُثْمَانُ بن حُنَيْفٍ: ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ ائْتِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ اني أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بنبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى اللَّهُ عليه وسلم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يا محمد إني أَتَوَجَّهُ بِكَ إلى رَبِّي فَتَقْضِي لي حَاجَتِي، وَتُذكُرُ حَاجَتَكَ، وَرُحْ حتى أَرُوحَ مَعَكَ. فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ ما قال له، ثُمَّ أتى بَابَ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رضي اللَّهُ عنه، فَجَاءَ الْبَوَّابُ حتى أَخَذَ بيده فَأَدْخَلَهُ على عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رضي اللَّهُ عنه فَأَجْلَسَهُ معه على الطِّنْفِسَةِ، فقال :حَاجَتُكَ فذكر حَاجَتَهُ وَقَضَاهَا له. ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ من عِنْدِهِ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بن حَنِيفٍ فقال له جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ما كان يَنْظُرُ في حَاجَتِي وَلا يَلْتَفِتُ إلي حتى كَلَّمْتَهُ فِيَّ. فقال عُثْمَانُ بن حُنَيْفٍ وَاللَّهِ ما كَلَّمْتُهُ وَلَكِنِّي شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ فَشَكَى إليه ذَهَابَ بَصَرِهِ فقال له النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم فَتَصَبَّرْ فقال يا رَسُولَ اللَّهِ ليس لي قَائِدٌ وقد شَقَّ عَلَيَّ فقال النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ

صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أدع بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ قال بن حُنَيْفٍ فو الله ما تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بنا الْحَدِيثُ حتى دخل عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لم يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ[1]

٣ – وقال الشوكاني(رحمه الله) :(وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأنه المعطي المانع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[2].)

المطلب الرابع : أقوال وأدلة المانعين:

الذين أنكروا التوسل بالذوات الميتة، قالوا إنما كان استسقاء عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه لأنه حي ولم يستسق بالنبي لأنه كان ميتاً، ومن هؤلاء العلماء:

١ – الشيخ عز الدين بن عبد السلام(رحمه الله) حيث إنه قال: لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي إن صح الحديث(حديث

---

1 - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (تـ ٣٦٠هـ) ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الطبعة: الثانية، رقم الحديث ٨٣١١، ج٩/ص٣٠
مجمع الزوائد ، قال الطبراني عقبه، والحديث صحيح بعد ذكر طرقة التي يروى بها ، ج٢/ص٢٧٩

2 - تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار القلم - بيروت - لبنان - ، الطبعة: الأولى ، ١٩٨٤،ج١/ص٢١٢

الأعمى). وأن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب ﷺ لما قال كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا [١]

٢ – وقال ابن تيمية (رحمه الله) : وقالت طائفة ليس في هذا جواز التوسل به ﷺ بعد مماته وفى مغيبه بل إنما فيه التوسل في حياته بحضوره. [٢]

وأورد ابن تيمية (رحمه الله) الحديث (حديث الأعمى) وقال بصحة السند لكنه شكك في المتن واتبع القاعدة الأصولية المهمة وهي أن فعل الصحابي يختلف عن اجماع الصحابة ففعل الصحابي ليس بحجة، بينما اجماعهم يعتبر حجة، وهذا ما يجتمع عليه الجميع فقال:

[ومثل هذا لا تثبت به شريعة كسائر ما ينقل عن آحاد الصحابة في جنس العبادات أو الإباحات إذا لم يوافقه غيره من الصحابة عليه لم يكن فعله سنة يجب على المسلمين إتباعها، بل غايته أن يكون ذلك مما يسوغ فيه الإجتهاد، ومما تنازعت فيه الأمة فيجب رده إلى الله والرسول ﷺ ، ولهذا نظائر كثيرة؛ مثل ما كان أبو هريرة ﷺ

---

[1] - تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ج١/ص٢١٢

[٢] - ورسائل وفتاوى ابن تيمية (رحمه الله) في الفقه ، ج٢٧/ص٨٥

يغسل يديه إلى العضدين في الوضوء ويقول من استطاع أن يطيل غرته فليفعل، وروى عنه أنه كان يمسح عنقه ويقول هو موضع الغل، فإن هذا وإن استحبه طائفة من العلماء إتباعا فقد خالفهم في ذلك آخرون .][1]

وقال ابن تيمية (رحمه الله)[2] : لا استغاثه بالمخلوق وإنما هو دعاء واستغاثة بالله ﷻ، لكن فيه سؤال بجاهه كما في الحديث أنه ذكر في دعاء الخارج للصلاة أن يقول :(من خَرَجَ من بَيْتِهِ إلى الصَّلَاةِ فقال اللهم إني أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هذا فَإِنِّي لم أَخْرُجْ أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا رِيَاءً ولا سُمْعَةً وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ فأسالك أَنْ تُعِيذَنِي من النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لي ذُنُوبِي إنه لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنت أَقْبَلَ الله عليه بِوَجْهِهِ وَاسْتَغْفَرَ له سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ)[3]

---

[1] – مجموع الفتاوى ، ج١/ص٢٧٨ – ٢٧٩

[2] - ينظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية (رحمه الله) في الفقه ج٢٧/ص٨٤

[3] - سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني-، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار النشر: دار الفكر - بيروت، بَاب الْمَشْيِ إلى الصَّلَاةِ، رقم الحديث : ٧٧٨، ج١/ص٢٥٦
مسند الامام احمد بن حنبل ، دار صادر بيروت مسند الإمام أحمد بأحكام الأرناؤوط - تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، رقم الحديث : ١١١٧٢، (ج ١٥ / ص ٥٧)، قال الزين العراقي: الحديث من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد حسن

قالوا ففي هذا الحديث أنه سأل بحق السائلين عليه وبحق ممشاه إلى الصلاة والله تعالى قد جعل على نفسه حقا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1] وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال هل تَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ على عِبَادِهِ قلت الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال حَقُّ اللَّهِ على عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا بِهِ شيئا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قال يا مُعَاذُ بن جَبَلٍ قلت لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فقال هل تَدْرِي ما حَقُّ الْعِبَادِ على اللَّهِ إذا فَعَلُوهُ قلت الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال حَقُّ الْعِبَادِ على اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ[2]

واستدل المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴿٣﴾ ﴾[3] ونحو قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾ ﴾[4] ونحو قوله تعالى :﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ

إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (تـ ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة للنشر، بيروت ـ لبنان، ج١/ص٣٢٣

[1] - الروم: ٤٧

[2] - صحيح البخاري ، باب حَمْلِ صَاحِبِ الدَّابَّةِ غَيْرَهُ بين يَدَيْهِ، رقم الحديث : ٥٦٢٢ ، ج٥/ص٢٢٢٤

[3] - الزمر: ٣

[4] - الجن: ١٨

يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ ﴾[1] وكذلك يستدلون بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾[2]

[1] - الرعد: ١٤
[2] - الانفطار: ١٧ - ١٩

المبحث الرابع
التوفيق بين الآراء

تبين لنا مما سبق أن التوسل أمر مختلف فيه بين العلماء، وقد قسموه إلى أقسام، واتفقوا على بعض واختلفوا في بعض، والذي أميل اليه أن التوسل بالرسول ﷺ يكون جائزاً في حياته وبعد موته، وفي حضرته ومغيبه، وقد ثبت التوسل به ﷺ في حياته وثبت التوسل به ﷺ بعد موته، كما ثبت التوسل بغيره من أولياء الله الصالحين، لأن المتوسل إليه هو الله ﷻ ولا يضر كون المتوسل به حاضراً أو غائباً، وكذلك ثبت التوسل بإجماع الصحابة إجماعا سكوتيا لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه، وأنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ لأمرين :

الأول: إجماع الصحابة رضي الله عنهم، فلم يعترض أحد على فعل عمر رضي الله عنه

والثاني: أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون الفاضل فاضلا إلا بأعماله، وقد أوردنا حديث النبي ﷺ الذي حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله ﷻ بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز لم تحصل الإجابة لهم، ولا سكت النبي ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم.

وبهذا نعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ٣ ﴾ ونحو قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ ونحو قوله تعالى ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ ﴾ ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه، فإن قولهم ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ٣ ﴾ مصرح بأنهم

عبدوهم لذلك، والمتوسل بالنبي ﷺ مثلا لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله ﷻ بالنبوة والرسالة فتوسل به لذلك.

وكذلك في قوله ﷻ ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ فإنه نهى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول: بالله وبفلان، والمتوسل لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم.

وكذلك قوله تعالى :﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم والمتوسل بالنبي ﷺ أو حتى بالعالم مثلا، لم يدع إلا الله، ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه.

وقوله تعالى :﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ فإن هذه الآيات الشريفات ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر يوم الدين، وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسل بنبي من الأنبياء، أو عالم من

العلماء، هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله ﷻ في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا العبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبي فهو في ضلال مبين.

ومن يستدل على منع التوسل بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ﴾[1] فإن هذه الآية مصرحة بأن رسول الله ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يملك لغيره؟ وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، وقد جعل الله ﷻ لرسوله ﷺ المقام المحمود لمقام الشفاعة العظمى، وأن الناس يتجهون إلى ثلة من الأنبياء لبدء الحساب كما أخبر النبي ﷺ حينما قال: (يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُهِمُّوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ لو اسْتَشْفَعْنَا إلى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا من مَكَانِنَا؛ فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ أنت آدَمُ أبو الناس، خَلَقَكَ الله بيده وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لك مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كل شَيْءٍ لِتَشْفَعْ لنا عِنْدَ رَبِّكَ حتى يُرِيحَنَا من مَكَانِنَا هذا، قال فيقول لَسْتُ هُنَاكُمْ قال وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ التي أَصَابَ أَكْلَهُ من الشَّجَرَةِ وقد نُهِيَ عنها، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا عليه السلام أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ الله ﷻ إلى أَهْلِ الأرض، فَيَأْتُونَ نُوحًا فيقول لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ

[1] - يونس: ٤٩

التي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنْ ائْتُوا إبراهيم خَلِيلَ الرحمن، قال فَيَأْتُونَ إبراهيم عليه السلام فيقول إني لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ الله التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قال فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السلام فيقول إني لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ التي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، قال فَيَأْتُونَ عِيسَى عليه السلام فيقول لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم عَبْدًا غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ على رَبِّي في دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لي عليه، فإذا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي ما شَاءَ الله جل جلاله أَنْ يَدَعَنِي فيقول ارْفَعْ محمد وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ، قال فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي على رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ فَيَحُدُّ لي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، قال قَتَادَةُ رضي الله عنه وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يقول فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ من النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْتَأْذِنُ على رَبِّي في دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لي عليه، فإذا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي ما شَاءَ الله أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يقول ارْفَعْ محمد وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ، قال فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي على رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قال ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، قال قَتَادَةُ رضي الله عنه وَسَمِعْتُهُ يقول فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ من النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ،

ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ على رَبِّي في دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لي عليه، فإذا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ له سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي ما شَاءَ الله ﷻ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يقول ارْفَعْ محمد وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ، قال فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي على رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قال ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، قال قَتَادَةُ ﷺ وقد سَمِعْتُهُ يقول فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ من النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ حتى ما يَبْقَى في النَّارِ إلا من حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عليه الْخُلُودُ، قال ثُمَّ تَلَا هذه الْآيَةَ :﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[1] قال وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الذي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ)[2]

وأرشد الله ﷻ الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه، وقال الله ﷻ ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا ﴾[3] ولا تكون إلا لمن ارتضى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ﴾[4] وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله ﷻ فإن

---

[1] - الإسراء: ٧٩

[2] - صحيح البخاري، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ، رقم الحديث: ٧٠٠٢ ، ج٦/ص٢٧٠٨

[3] - البقرة: ٢٥٥

[4] - الأنبياء: ٢٨

ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي، وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سببا للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين .[١]

ومع هذا لا نبدِّع ولا نكفِّر الذي ينكر التوسل غير المتفق عليه، لأنه اجتهد حسب ما فهم من النصوص، وأن النبي ﷺ لم ينكر على المجتهدين أفراداً أو جماعات، كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ يوم الْأَحْزَابِ قال : (لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إلا في بَنِي قُرَيْظَةَ) [٢] فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمْ الْعَصْرَ في الطَّرِيقِ فقال بَعْضُهُمْ لَا نُصَلِّي حتى نَأْتِيَهَا وقال بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي لم يُرِدْ مِنَّا ذلك فَذُكِرَ ذلك لِلنَّبِيِّ ﷺ فلم يُعَنِّفْ وَاحِدًا منهم.

والذي يتمعن في آية الوسيلة؛ قوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٣] يجدها قد ابتدأت بالحث على تقوى الله ﷻ، والتقوى أن يجعل الإنسان بينه وبين ما يؤذيه وقاية، وأن ندرأ عنا

---

[١] - تحفة الأحوذي، ج١٠/ص٢٦

[2] - صحيح البخاري، بَاب مَرْجِعِ النبي صلى الله عليه وسلم من الْأَحْزَابِ وَمَخْرَجِهِ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ ، رقم الحديث : ٣٨٩٣، ج٤/ص١٥١٠

[٣] - المائدة: ٣٥

عذاب الله ﷻ، ثم نبحث عن الوصْلة التي تُوصّلنا إلى طاعته ورضوانه وإلى محبّته. ومما هو معلوم أن درأ المفاسد مقدم على جلب المنافع، فنحن ندرأ العذاب ونستجلب رحمة الله ﷻ بالوسيلة التي شرَّعها ويحبها الله سبحانه وتعالى، وهل يتقرَّب إنسان إلى أي كائن إلا بما يعلم أنه يُحبّه؟.

وما يُحبه سبحانه أوضحه لنا في الحديث القدسي:

قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ ﷻ قال :(من عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وما تَقَرَّبَ إلي عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إلي مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلي بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وما تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.) [١]

وهكذا يفسح الله ﷻ الطريق أمام العبد، فيقول له : يا عبدي تقرب إلي بالأمور التي لم ألزمك بها، ولكنها من جنس ما افترضته

[١] - صحيح البخاري ، بَاب التَّوَاضُعِ ، رقم الحديث : ٦١٣٧، ج٥/ص٢٣٨٤

عليك، فلا ابتكار في العبادات. إذن فابتغاء الوسيلة من الله هي طاعته لله ﷻ وامتثال لأمره.

وحتى نحقق معنى الوحدة الإسلامية وندرأ الخلاف الذي لا مبرر له، نقول لمن يكفر المتوسلين بالنبي ﷺ أو الولي: هذِّبوا هذا القول قليلاً؛ إنّ حدوث مثل هذا القول هو نتيجة عدم الفهم، فالذي يتوسل بالنبي ﷺ أو الولي الصالح هو يعتقد أن له منزلة عند الله. وهل يعتقد أحد أن الوليّ يجامله ربنا ﷻ ليعطيه ما ليس له عند الله؟. طبعا لا.

وهناك من قال: إن الوسيلة بالأحياء مُمكنة، وأن الوسيلة بالأموات ممنوعة. ونقول له: أنت تضيق أمراً مُتسعاً؛ لأن حياة الحي لا مدخل لها بالتوسل، فإن جاء التوسل بحضرته ﷺ إلى الله ﷻ، فإنك قد جعلت التوسل بحبك لمن علمت أنه أقرب منك إلى الله؛ فحُبك له هو الذي يشفع.

والذين يقولون: لا يصح أن نتوسل بالنبي ﷺ لأن النبي انتقل إلى الرفيق الأعلى، نقول لهم: انتبهوا إلى ما قال سيدنا عُمر رضي الله عنه ؛ قال: كنا في عهد رسول الله إذا امتنع المطر نتوسل برسول الله ﷺ

ونستسقي به. ولما توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلم، نتوسل بعمه العباس. وقالوا: لو كان التوسل برسول الله جائزاً بعد انتقاله لما عدل عمر بن الخطاب ﷺ عن التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله، وذهب إلى التوسل بعم النبي ﷺ. ونسأل: أقال عمر " كنا نتوسَّل بنبيك والآن نتوسَّل إليك بالعباس؟ أم قال: والآن نتوسل إليك بعم نبيك "؟.

اذن فالذين يمنعون ذلك يوسعون الشقة على أنفسهم؛ لأن التوسُّل لا يكون بالنبي ﷺ فقط ولكن التوسل أيضاً بمن يمت بصلة إلى النبي ﷺ. فساعة يتوسل واحد إلى غيره يعني أنه يعتقد أن الذي توسل به لا يقدر على شيء، إنني أتوسل به إلى الغير لأني أعرف أنه لا يستطيع أن ينفذ لي مطلوبي. إذن فلنبعد مسألة الشرك بالله عن هذا المجال، ولنجعلها قضية فقهية، وليست قضية عقائدية، ونقول: نحن نتوسل به ﷺ إلى غيره ﷻ لأننا نعلم أن المتوسل إليه ﷻ هو القادر وأن المتوسل به نبياً كان أو ولياً عاجز. وهذا هو منتهى اليقين ومنتهى الإيمان.

ولكن المتوسِّل به قد ينتفع وقد لا ينتفع، وعندما توسَّل سيدنا عمر بالعباس عَمّ النبي ﷺ كان يفعل ذلك من أجل المطر. والمطر في هذه الحالة لا ينتفع به رسول الله ﷺ لذلك جاء بواحدٍ من آل

البيت وكأنه قال: " يا رب عمُّ نبيك عطشان فمن أجله نريد المطر ".

إذن فتوسُّل عمر بن الخطاب ﷺ بعم النبي ﷺ دليل ضد الذين يمنعون التوسل بالنبي ﷺ بعد الانتقال إلى الرفيق الأعلى.[١]

إن الله ﷻ أدبنا وعلمنا نحن المسلمين أن نتحد وأن نجتمع على كلمة سواء مع أهل الكتاب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[٢] فاذا كانت هذه دعوته ﷻ لنا أن نتصرف مع أهل الكتاب الذين يخالفوننا في كبريات امور العقيدة، ندعوهم إلى كلمة سواء وأن نتفق عليها، فالأجدر بنا نحن المسلمين أن يدعو بعضنا بعضاً إلى كلمة سواء، ولا يدعي أحد امتلاك الحقيقة المطلقة ولا يتخذ شعاراً فرعونياً ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾[٣] وينبغي أن يراجع كل واحد منا نفسه دائماً.

---

[1] - ينظر تفسير الشعراوي - (ج / ص ٦٩٧)

٢ - آل عمران: ٦٤

٣ - غافر: ٢٩

[استفتى رجل أبا حنيفة (رحمه الله) فأفتاه. فسأله الرجل: أهذا الذي قلته هو الحق الذي لا باطل معه؟ فيجيبه أبو حنيفة رضي الله عنه في تواضع العلماء: وما يدريك! لعله الباطل الذي لاحق معه ! لعله الباطل الذي لا حق معه ! وبكي الإمام رحمه الله في مرض موته لما بلغه أن الناس تستشهد بآرائه وأقواله، مع أنها اجتهاد قد يرجع عنه.][1]

ينبغي أن يكون المجتهد مع الدليل لا مع هواه. فهو ينظر في الأدلة التي صحت عنده ليستنبط أحكاماً تصلح حال الأمة. فاجتهاده توفيق بين الدليل ومقاصد الشريعة. وقد يختلف رأي مجتهد عن رأي مجتهد، ويخالف المجتهد قوله الأول

ولا يدعي أحد منا الكمال، ولا ينبغي أن نستميت على مبدأ اجتهادي، لهذا فمن يعتبر رأي فقيه هو الرأي الواحد الصواب جاهل بما هو الفقه. لذلك نجد في فقه المراجعات رأياً، ثم نجد غيره في الغد.

---

[1] - موسوعة البحوث والمقالات العلمية لقسم : مجلات وموسوعات علمية جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة
حوالي خمسة آلاف وتسعمائة مقال وبحث ، علي بن نايف الشحود
المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية
http://www.almeshkat.n - (ص ١)

ولا ينبغي أن نقول هذا هو حكم الله ﷻ، بل نقول هذا اجتهادي في فهم حكم الله ﷻ وعندما سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة فقال: (إني قد رأيت في الكلالة رأيا فإن كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له وإن يكن خطأ فمني والشيطان والله منه بريء، إن الكلالة ما خلا الولد والوالد .)[١]

والحق ﷻ يعطينا المثل على ذلك، فما أراده سبحانه في المنهج مُحكماً يأتي محكماً في قول واحد لا خلاف فيه، وضرب لنا مثلاً في ذلك بآية الوضوء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ٦ ﴾ [٢] فلم يحدد الوجه؛ لأنه لا خلاف في تحديده بين الناس، إنما حدد الأيدي إلى المرافق، وحدد الأرجل إلى الكعبين لأنها محل خلاف. إذن: فالقضايا التي تُثار بين المسلمين ينبغي أن يكون لها جدل خاص في هذا الإطار دون تعصُّب، فما جاء مُحْكماً لا مجالَ فيه لرأي التزم به الجميع، وما تُرِك بلا تنصيص لا يحتمل الخلاف، فليذهب كل واحد إلى ما يحتمله النص.

---

[1] - تفسير الطبري ج٤/ص١٢٨

[٢] - المائدة: ٦

فالباء في لغتنا مثلاً تأتي للتبعيض، أو للاستعانة، أو للإلصاق، فإنْ أخذتَ بمعنىً فلا تحجر على غيرك أنْ يأخذ بمعنى آخر.

فإذا تأزمت الأمور واستعر القتال بين طائفتين من المسلمين، فيجب أن تكون هناك طائفة معتدلة تتولى أمر الإصلاح، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾[1]

نرى أن الله تعالى سماهم مؤمنين، ومعنى ذلك أن الإيمان لا يمنع أن نختلف، وهذا الإيمان الذي لا يمنع أن نختلف هو الذي يُوجب علينا أن يكون منا طائفة معتدلة على الحياد لا تميل هنا أو هناك، تقوم بدور الإصلاح وبدور الرد على الباغي المعتدي حتى يفيء إلى الجادة وإلى أمر الله ﷻ.

فإنْ فاءت فلا نترك الأمور تُخيّم عليها ظلال النصر لفريق، والهزيمة لفريق آخر، إنما نصلح بينهما، ونزيل ما في النفوس من غِلٍّ وشحناء، فقد تنازل القوي عن كبريائه لما ضربنا على يده، وَقوي

[1] - الحجرات: ٩.

الضعيف، بوقوفنا إلى جانبه، فحدث شيء من التوازن وتعادلتْ الكفّتان، فليعُدْ الجميع إلى حظيرة الأمن والسلام.[١]

لقد ترك الله لنا حُرية التفكير وحرية العقل في أمور دنيانا، لكنه ضبطنا بأمور قَسْرية يفسد العالم بدونها، فالذي يفسد العالم أن نترك ما شرعه الله ﷻ لنا.. والباقي الذي لا يترتب عليه ضرر يترك لنا فيه مجالاً للتفكير والتجربة؛ لأن الفشل فيه لا يضر. فما أراده الله حُكْماً قسْرياً فرضه بنصٍّ صريح لا خلافَ فيه، وما أراده على وجوه متعددة يتركه للاجتهاد حيث يحتمل الفعل فيه أوجهاً متعددة، ولا يؤدي الخطأ فيه إلى فساد.

فالمسألة ميزان فكري، أن نرى ما يريده الله بتاً وما يريده اجتهاداً، وما دام اجتهاداً فما وصل إليه المجتهد يصح أنْ يعبد الله ﷻ به، ولكن آفة الناس في الأمور الاجتهادية أن منهم مَنْ يتهم مخالفه، وقد تصل الحال بهؤلاء إلى رَمْي مخالفيهم بالكفر والعياذ بالله.

---

[١] - ينظر تفسير الشعراوي – (ج / ص ٣٣٣٥)

ونقول لمثل هذا: اتق الله، فهذا اجتهادٌ مَنْ أصاب فيه فَلَهُ أجران، ومَنْ أخطأ فله أجر.. ولذلك نجد من العلماء مَنْ يعرف طبيعة الأمور الاجتهادية فنراه يقول: رَأْيي صواب يحتمل الخطأ، ورَأْي غيري خطأ يحتمل الصواب. وهكذا يتعايش الجميع وتُحترَم الآراء. وكأنه سبحانه يقول لنا: رُدُّوا عقولكم ونفوسكم عن كبرياء الجدل ولَجَج الخصومة.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الزحام، وبعد:

فبعد هذا التطواف في آراء العلماء نصل إلى النتائج الآتية:

١ - هنالك مسائل في التوسل اتفق العلماء على مشروعيتها، مثل التوسل بصفات الله ﷻ، وصيغته أن يقول : اللهم إني أسألك برحمتك ومغفرتك وإحسانك وغيرها من الصفات، وكذلك التوسل بالأعمال الصالحة فقد أجمع الفقهاء على جواز التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان متقربا بها إلى الله ﷻ، وكذلك التوسل بالنبي ﷺ في حياته ومعناه أن نطلب الدعاء منه في الدنيا والشفاعة في الآخرة . وقد ثبت ذلك بالتواتر.

٢ – هنالك امور في التوسل اختلف فيها العلماء، مثل التوسل بالنبي ﷺ قبل ولادته، فمنهم من أثبته ومنهم من لم يجوزه، وكذلك التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته، لذا اختلف العلماء في مشروعية كقول القائل : اللهم إني أسألك بنبيك أو بجاه نبيك أو بحق نبيك، فمن قال بجواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأنه المعطي المانع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا بأس، ومن لم يجزه فلا مانع.

٣ – الذين أنكروا التوسل بالذوات الميتة، قالوا إنما كان استسقاء عمر ﷺ بالعباس ﷺ لأنه حي ولم يستسق بالنبي لأنه كان ميتاً.

٤ – أرشد الله ﷻ الخلق إلى أن يسألوه بدأ الحساب بواسطة رسوله ﷺ يوم الحشر الأكبر ويطلبوه منه، وقال الله ﷻ ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى.

٥ – ومع هذا لا نبدِّع ولا نكفِّر الذي ينكر التوسل، لأنه اجتهد حسب ما فهم من النصوص، وأن النبي ﷺ لم ينكر على المجتهدين أفراداً أو جماعات، كما جاء اقرار النبي ﷺ يوم الْأَحْزَابِ.

٦ – إن درأ المفاسد مقدم على جلب المنافع، فنحن ندرأ العذاب ونستجلب رحمة الله ﷻ بالوسيلة التي شرَّعها ويحبها الله ﷻ.

٧ – وحتى نحقق معنى الوحدة الإسلامية وندرأ الخلاف الذي لا مبرر له لا نكفر المتوسلين بالنبي ﷺ والصالحين

وأن لا يتهم بعضنا بعضاً، وأن لا يصل بنا الحال إلى رَمْي المخالفين بالكفر والعياذ بالله.

٨ – لا يدعي أحد منا الكمال ولا ينبغي أن نستميت على مبدأ اجتهادي، ومن يعتبر رأي فقيه ما هو الرأي الواحد الصواب، جاهل بما هو الفقه.

٩ – ولا ينبغي أن نقول هذا هو حكم الله ﷻ، بل نقول هذا اجتهادي في فهم حكم الله ﷻ .

١٠ – المسألة ميزان فكري ، أن نرى ما يريده الله ﷻ بتاً وما يريده اجتهاداً، فما كان بتاً فلا مناص منه، وما دام اجتهاداً فما وصل إليه المجتهد يصح أنْ يُعبد الله ﷻ به.

هذا ما تيسر من التقدير ، وتقدر من التيسير ، وشاء الله ﷻ أن يخرج هذا البحث إلى حيز الوجود ، فما كان فيه من صحيح وصواب فهو خير وفقني الله إليه ، وما كان من خطأ فهو من غير قصدي ، وأسأل الله ﷻ أن يتجاوز عني ويسامحني ، وشعاري في عملي هو : (رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع
بعد القرآن الكريم

١. الأحاديث المختارة الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، دار النشر: مكتبة النهضة الحديثة – مكة المكرمة – ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.م

٢. إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (تـ ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة للنشر، بيروت ـ لبنان

٣. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، الإمام النووي، (تـ ٦٧٦هـ) ، دار النشر: دار الكتب العربي – بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٤. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، (تـ ٧٧٤هـ) ، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار النشر: دار الهداية.

٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى دار النشر: دار الكتاب العربي – لبنان/ بيروت – ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٧. التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، . الطبعة التونسية ، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م .
٨. تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تعليق شعيب الأرنؤوط، دار النشر: دار القلم – بيروت – لبنان – ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤.
٩. تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (تـ ٧٧٤هـ) ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر – بيروت ،١٤٠١ هـ .
١٠. تفسير البيضاوي، الإمام البيضاوي، (تـ ٧٩١هـ) دار النشر: دار الفكر – بيروت .
١١. تفسير الشعراوي.

١٢. تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، (ت ٣١٠ هـ) ، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ .

١٣. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (ت ٦٠٦هـ) ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى– ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين ، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ.

١٥. الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (ت ٧٢٩هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت ٦٧١هـ) ، دار النشر: دار الشعب – القاهرة .

١٧. حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، تأليف: ابن عابدين. ، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٨. حاشية على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي، دار النشر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر - ، الطبعة: الثالثة ، ١٣١٨هـ.

١٩. د فع شبه التشبيه بأكف التنزيه، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، تحقيق: حسن السقافج، دار النشر: دار الإمام النووي - الأردن - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، الطبعة: الثالثة.

٢٠. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، (ت ٩١١هـ) دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣.

٢١. سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني- ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار النشر: دار الفكر – بيروت.

٢٢. شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ، الطبعة: الرابعة ،١٣٩١هـ .

٢٣. شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت –، الطبعة: الأولى ، ١٤١٠هـ.

٢٤. صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

٢٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث

٢٦. الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تأليف: الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، دار النشر: دار الفكر – ١٤١١هـ – ١٩٩١م،

٢٧. الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، تأليف: أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، تحقيق: خليل المنصور دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م،

.

٢٨. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تأليف: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤١٥

٢٩. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجديج، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، ط:٢ .

٣٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،

تحقيق: عبد الرزاق المهدي ،دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣١. لسان العرب ، محمد بن منظور الأفريقي المصري ، (تـ ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، ط ١

٣٢. مجموع كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (تـ ٧٢٨هـ)، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجديج١، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية.

٣٣. المجموع، تأليف: النووي، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٩٩٧م، ٨ / ٢٧٤

٣٤. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر حالرازي، (تـ ٧٢١هـ)، تحقيق: محمود خاطر ، دار النشر: مكتبة لبنان .

٣٥. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: عبد القادر بن بدران الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الثانية. – ١٤٠١

٣٦. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، (ت ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة:الأولى،١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٧. مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، (ت ٢٤١هـ)، دار النشر، دار النشر قرطبة، مصر.

٣٨. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة الزهراء – الموصل، الطبعة: الثانية – ١٤٠٤ – ١٩٨٣.

٣٩. المعجم الوسيط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار النشر: دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥.

٤٠. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة: الأولى .

٤١. مفاهيم يجب أن تصحح ، السيد محمد بن علوي المالكي الحسني، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت.

٤٢. موسوعة البحوث والمقالات العلمية لقسم : مجلات وموسوعات علمية جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة حوالي خمسة آلاف وتسعمائة مقال وبحث ، علي بن نايف الشحود

٤٣. الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ط : الثانية ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م

٤٤. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة .